محاضـــرات فـــي مقيـــاس سوســـيولوجيا الـــرابط الاجتمـــاعي د. تـــالي جمـــال

عنوان الليسانس: **علم اجتماع** اسم الوحدة: **أساسية** الرصيد:**5** معامل:**2**

المحاضرة العاشرة: علم الاجتماع المعاصر والرابط الاجتماعي

يتساءل علماء الاجتماع دوما في إطار العلاقة المباشرة مع تجدد انبثاق المجتمع، حول أنفسهم ووجودهم وحول معنى هذا الوجود، وعن مكانة علم الاجتماع في خضم تلك التحولات ومكانتهم في المجتمع، كما يتساءلون باللاعبين الفرديين والجمعيين، وأيضا حول خصوصيتهم ودورهم ومشار كتهم في بناء المجتمع.

ومن المؤكد أنهم يقومون بذلك بواسطة مناهج وأدوات بحثية تمنكّنهم من تقيدم قراءات علمية تساهم في فهم الواقع الاجتماعي والتنبؤ بمستقبل الظواهر فيه بل والتحكم به، ومن المهم هنا أن نشير الى انه ليس علماء الاجتماع ولا المفكرون هم من يحددون تطور المجتمع، ولكن مسؤوليتهم التاريخية تجعلهم معنيين بهذا التطور من خلال جانبين؛ أولا من خلال وجودهم كأعضاء في المجتمع وثانيا من خلال مهنتهم. وبهذا تتدخل النظريات في عملية تكوين المجتمع، فالنظريات الاجتماعية التقليدية تتشارك في محاولتها لفهم الواقع الاجتماعي وتقدم تحليلا لحالة المجتمع الراهنة وتطمح لرؤية مستقبله. ان النظريات هي التماس للمعنى وهو تطمح دوما للتحليل الاجتماعي بطريقة علمية، فهي متجددة ومتطورة وهي بنت بيئتها وعصرها، وتكتسب راهنية في الزمان والمكان.

غير أن المسافات بدأت تكبر بين معطيات الحاضر الذي عايشه علماء الاجتماع المعاصرين وماضي المعرفة السوسيولوجية، فبنية المجتمعات توجهت نحو تحديدات لم يكن لها نموذج سابق، وبالتالي فان عوراضها اللاحقة بمستوى الوعي الفردي بالذات وبالاخر ستشهد لا محالة تأثر واعادة تعريف للهوية الفردية، استجابة

لما يمكن اعتباره متغير أساسي لهذه المجتمعات وهي الثورة الرقمية والتكنولوجية وتراجع الانظمة السياسية الشمولية كالاتحاد السوفياتي وانتشار الثورات السياسية.[1]

معرفيا كان حريا بعلماء الاجتماع العمل على تنويع المداخل النظرية والبحث في تاريخانية المعرفة السوسيولوجية، عن منظورات معرفية تسمح بالفهم والتحليل العميق للواقع الاجتماعي وتفاعلات الأحداث فيه، والتي من دون شك ستعمل على إعادة صياغة المفاهيم المترابطة والمتداخلة لموضوعات الرابط الاجتماعي.

وعليه توجه علماء الاجتماع ضمن هذا الطرح إلى تحليل الأنظمة الجزئية للتفاعل الإنساني ضمن نطاقات ضيقة، تسمح بتتبع تفاعلات الذات وتأويلها لواقعها بعيدا عن المنظورات الجاهزة. إن الذوات تتفاعل من خلال الاختلاف وليس من خلال التآلف وهي أولى الملاحظات الواجب اعتمادها للتحليلي السوسيولوجي لموضوع الرابط الاجتماعي.حيث أن الأمر يتعلق بالتراجع عن مقولات التكيف الاجتماعي والاندماج الاجتماعي.

1. الرابط الاجتماعي الياس نوربرت:

ولد نوربرت إلياس في عائلة يهودية. جُ نِّد أثناء الحرب العالمية الأولى ثم شرع في دراسة الفلسفة والطب. اضطر إلى هجر ألمانيا النازية إلى فرنسا سنة 1933 ثم إلى بريطانيا حيث أمضى باقي حياته. بيد أن أعماله بالألمانية لم تلفت الأنظار فلم يحصل على منصب مدرس بجامعة لايستر.

تبرز وظيفة عالم الاجتماع حسب نوربرت إلياس (نوربرت إلياس، صياد الأساطير، ترجمة: هاني صالح، دار الحوار) انطلاقا من اقتداره على الكشف عن

الأساطير التي يتم تداولها حول كيفية تعايش المجموعات البشرية. وهو الأمر الذي جعل علم الاجتماع يفرض ذاته كتخصص قائم الذات، يُعنى بالدرجة الأولى بدراسة تطور المجتمعات الكبيرة والصغيرة ودراسة هيكلتها وطرائق مهامها وأعمالها على نحو يجعله متميزا عن باقي العلوم: الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والاقتصادية والتاريخية، يقول نوربرت إلياس:" إن العلوم ستنشأ وتتطور في بعض المجتمعات المعينة من خلال صراع مع أنظمة فكرية غير مثبتة وسابقة للعهود العلمية التي تتبناها بشكل بديهي مجموعات أخرى كثيرة. إن المجموعات التي تفكر بشكل علمي هي مبدئيا مجموعات تنتقد أو ترفض التصورات السائدة في مجتمعاتها، حتى لو كانت تستند إلى أسس سلطوية، لأنها ترى أن هذه التصورات السائدة لا تتطابق مع الحقائق التي تلحظها هذه المجموعات في دراساتها العلمية الإفرادية المنهجية.[2]

سعى نوربرت إلياس إلى تجاوز التناقض التقليدي بين الفرد والمجتمع. ذلك حتى الأفراد المستقلين قد يكونون الذين يبلى خارجً ا عنهم بالتالي: ليس المجتمع مجرد مجموع الوحدات الفردية (الفردانية المنهجية) ولا كياناً ا مستقلا عن الأفعال الفردية (النظرية الكاملة). لمفهوم الترابط أهمية خاصة عند إلياس.

"على غرار ما يجري في الشطرنج فكل عمل يقام به في استقلال نسبي هوحركة على الرقعةالاجتماعية تسبب حتمً ا حركة مضادة من فرد آخر (وهي بالأحرى حركات مضادة كثيرة من أفراد كثيرين على الرقعة الاجتماعية) تحد من حرية تصرف اللاعب الأول".

بناءا على ما سبق كان يهدف نوربرت من مفهومه للرابط الاجتماعي بحث امكانية كيفية انتقال الاهداف الفردية إلى أهداف مجتمعية، تجاوزا للصياغة

الميكانيكية غامضة الكينونة الطبيعية والروحية التي لم يفصل فيها ماكس فيبر ضمن توجهه العقلاني خاصة في ضوء عجز التفسير الطبيعي والديني، ما يتيح الطريق اما طرح اشكالية الرابط الاجتماعي من زاوية جديدة، وهي فهم الفجوة بين الفرد والمجتمع كمشروع عام للسوسيولوجيا المعاصرة، حيث كانت صياغة مفهوم الرابط الاجتماعي في صلب الاهتمامات.[3]

اعتقد نوربرت انه ولدراسة الرابط الاجتماعي دراسة سوسيولوجية وجب أولا تجاوز المقابلة بين الفرد والمجتمع واقترح في المقابل فكرة التضاد الذاتي بين الافراد كمجال تفاعلي أساسي، من خلاله تنسج التنشئة الاجتماعية ترتيبا التشكل الفردي والتشكل المجتمعي بصفة متوازية، يمكن ان يعطي معنى للمجتمع ومعنى للفرد على السواء في صورة لا تظهر تضادهما.

في كتابه «مجتمع الأفراد» يقدم نوربرت إلياس نظريات متنوعة حول العلاقة بين الفرد والمجتمع فيما يتضمن هذه العلاقة من سلاسل متداخلة، فالعزلة التي يعيشها إنسان العصر الحديث كبيرة، ولكي نصبح مجتمعاً، بالمفهوم العام للمسمى، لكن كل فرد فيه يعيش بمعزل أو بانعزال تام عن الآخر، لتصبح لفظة المجتمع مجرد لفظة هشة تطلق على مضض لتوصيف مجموعة من الأفراد يتشاركون المكان نفسه، ولعل اللافت فيما يطرحه «إلياس» هنا أنه في الحقيقة لا وجود لتلك الفكرة، فكرة العزلة التامة التي يشكلها أفراد المجتمع، إذ إنه من المستحيل بتر علاقات متداخلة ومتشابكة لآلاف السنين منذ تشكل الحضارة بمجرد طارئ شكله عصر حديث مقتضب.[4]

بالنظر للمتمعن في الفكرة، يذهب إلياس ليقدم تشريحاً حول التداخل الذي لا يرتبط بوقت آني، فشخصية الفرد الناضج هي عبارة عن مجموع من المكونات التي نشأت معه منذ ولادته، بتواصله مع كائنات المجتمع الناضجة التي تحصلت بدورها على مجموعة من الصفات الخاصة التي كونتها من التفاعل مع الأفراد المحيطة، التي تكون المجتمع السابق الذي تفاعل أفراده بدوره مع مجتمع سابق ..

وعليه فإن هذه السلسلة المتواترة تذهب إلى تقديم فكرة أنه لا وجود فعلياً لتلك الشخصية الفردانية الكاملة، كما لا وجود بالمعنى المقابل لمجتمع تشكل في نواته من شيء قائم على فكرة الفرد الواحد الذي عمم أفكاره على مجموعة أكبر ليشكل مجتمعاً.

إذ إن الأمر أكثر تعقيداً في مضمونه من ذلك، من حيث حيزه الزمني بل والمكاني أيضاً في بعض الأحيان، وإن هذا الأمر وتحديداً هذه العلاقة، هي الشيء الفعلي الذي يميز الكائن البشري عن الكائنات الأخرى، فالأمر ليس مرتبطاً بالقدرة على التفكير والنطق فقط فردياً، إذ إنه ما كان ليكتسبها لولا تفاعله مع كائنات شبيهة به، بل بكيفية توجيه هذه القدرات في نمط علاقاته بالمجتمع المحيط. يتفرع إلياس لاحقاً ليناقش فكرة التاريخ ومن يصنعه فعلاً .. هل هو الفرد أو المجتمع؟ والوجود الفعلي للإرادة الكاملة لفرد يصر عليها في كل لحظة، فهل امتلكها فعلاً؟ وهي أفكار مثيرة من خلال ما يقدمه إلياس من أمثلة أثناء تناولها.